المحاضرة رقم 07

الحِجَاج والبلاغة الجديدة

1.البلاغة الجديدة:

ظهر مُصطلح البلاغة الجديدة (la novelle rhétorique) في الفترة المعاصرة في صلب الأدبيات الأوروبية الإنجليزيّة والفرنسية على وجه الخصوص، حيث يُطلق المصطلح الأخير ويراد به جُملة التصوّرات النظرية والآليّات التي رجع إليها من خلال بلاغة أرسطو والبلاغتين اليونانية والرومانية، ونظر إليها الدّارسون من مداخل نظر جديدة ، ذلك أنّ البلاغة قبل ذلك كانت قد فقدت حَظوتها في العصر الحديث وألصقت بها كل نقيصة شنيعة، حيث أفضت معاودة النَّظر إليها بمنظور جديد إلى ازدهار الدراسات البلاغيّة الغربيّة عبر اتّجاهات مختلفة من قبيل نظريّة الحِجَاج (بلاغة الحِجَاج والإقناع) بتوجّهاتها المختلفة.

لقد أعادت البلاغة الجديدة بعث الآليات والمفاهيم الإجرائية التي رسّخها أرسطو ومن جاء في أعقابه من البلاغيين أمثال؛ شيشرون ، لونجاينوس، فونتانيي وغيرهم، بيد أنها قدمت مُراجعة لتلك التصوّرات ونظرت إليها عبر مفاهيم اللسانيات والمنطق ونظرية القراءة قصد إيجاد السّند النظري والإجرائي الذي يمدّ تحليل الخطاب باستراتيجيات ومناهج جديدة في التحليل، لأنّ البلاغة تكفل ذلك بوصفها من صميم اللغة وهي الجهاز المفاهيمي الأقدر على فهم وإنتاج الخطاب تخييلا وتداولاً.[1]

لقد أسس شايم بيرلمان (Chaïm Perelman) وأولبريخت تيتيكا(Lucie Olbrechts-Tyteca) البلاغة الجديدة حين ربطها بالحجاج والإقناع،مستلهمين في سعيهما تصوّرات الفيلسوف اليوناني أرسطو. ومن ثمّ، ألحق بيرلمان البلاغة بالحجاج مادام يشتركان في هدفٍ واحد هو الإقناع والتأثير على حد سواء. فالبلاغة حجاجية. بمعنى أن الصور البلاغية والمحسنات البديعية تنهض بوظيفة حجاجية. ومن ثمّ، ارتبط اسم بيرلمان بالبلاغة الحجاجية.

أضحت البلاغة الجديدة، بداية من منتصف القرن العشرين بوصفها تخصصا قائماً بذاته، موضوع اهتمام المفكرين والباحثين وعلى رأسهم بيرلمان (Perlman) الذي أعاد صياغة التصوّرات والإجراءات الأساسية للصناعة الخَطابية الأولى التي ضربت الصفح عن الجانب العقلاني.

موسوعة ويكبيديا بتصرف كبير.

على الرغم من كون بيرلمان قد انطلق من أفكار أرسطو حول البلاغة إلا أنه قدم تصوَّرًا أصيلاً وعمّق مراميها النظرية حيث تُعدّ البلاغة وفق منظوره بمثابة برهنة استدلالية أو فلسفة عقلانية غايتها التمييز بين الأفكار القيمة وغير القيمة، وفرز الحُجج الوجيهة من غيرها. علاوة على ذلك، فإنّ مكمن أهمية نظريته الحِجَاجِيّة في بيان طبيعة العلاقة بين البلاغة والمخاطب، سواء أكان فردا أم جماعة (جمهور)، والهدف المنشود من ذلك كله هو كشف الزيف والوهم والمحتمل، والدفاع عن الحقيقة الصادقة.

ومعني هذا أن الفكر الإنساني ليس دائما برهانيًّا واستدلاليًّا ـ على حد تعبير جميل حمداوى ـ بل ثمة أفكار غير منطقية، ولكنها تحمل في طياتها ما هو حجاجي، كما هو حال الجمالي أو الفني الذي ينهض بوظائف حجاجية. ويعني هذا أن حجاجية بيرلمان ذاتية ومتغيرة، مادامت تركز على الذوات لأنّ الدليل (الحُجَّة) قد يكون مؤنساً بصحة النتيجة أو مُرجحاً لها أو قاطعا لها.

2.الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه:

يُعدّ كتاب "مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة-" وهو عمل اشترك في تأليفه **بيرلمان وتيتيكاه** من أشهر الكتب التي عمقت المرامي النظرية للحجاج، حيث يؤرّخ بعض الدّارسين للدّراسات الحِجَاجِيّة بالرّجوع إلى هذين المؤلّفين **بيرلمان وتيتيكاه،** حيث تُطلق كلمة (Argumentation) على العلم وموضوعه وأهمّ غاية يرمي إليها هذا الكتاب، وقد يكون ذلك من قبل المفارقة الّتي هي عند المؤلّفين سبيل الخطابة والجدل معًا من دائرة الخطابة والجدل الّذي ظلّ لفترات طويلة في القديم مرادفًا للمنطق نفسه .

لقد « عمل الباحثان على تخليص الحِجَاج من صرامة الاستدلال الّذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورةٍ وخضوعٍ واستلابٍ، فالحجاج في تصوّرهما معقوليّة وحريّة، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة ومن أجل التّسليم برأي آخر بعيدًا عن الاعتباطية واللاّمعقول اللّذان يطبعان الخطابة عادةً، وبعيدًا عن الإلزام والإضرار اللّذان يطبعان الجدل[1]».

في موضع آخر من الكتاب يتحدّث المؤلّفان عن غاية الحِجَاج فيقولان إنّ؛ « غاية كل حجاج أن يجعل العقول تُذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحِجَاج ما وفق في جعل حِدّة الإذعان تقوى درجاتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل

1 عبد الله صوله،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحِجَاج الغربية من أرسطو إلى اليوم،ص 298. بتصرف.

المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة[1]».

يظهر من كلام المؤلّفين في كتابهما أن: « تحقيق الإقناع Conviction الّذي هو غاية الحِجَاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La démonstration والإقناع La persuasion[2]».

يقسّم **بيرلمان** و**تيتيكاه الحِجَاج** قسمين تبعاً لنوع الجمهور وهما الحِجَاج **الإقناعي**؛ وهو ما يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، والحجاج **الإقتناعي**؛ وهو حجاج يروم أن يُسلّم به كلّ ذي عقل فهو عام، حيث يجعل المؤلّفان الإقتناع، وهو عقلي دائمًا أساس الإذعان وأساس الحجاج، في مقابل الإقناع الذي لا يُعتد به في الحِجَاج بما هو ذاتي وخاص.

مميزات الحِجَاج وملامحه الرئيسة وفق بيرلمان:

- يتوجّه إلى مستمع.
- يُعبّر عنه بلغة طبيعيّة.
- مُسلّماته احتماليّة.
- لا يفتقر تقدّمه (progression) إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة.
- نتائجه غير مُلزمة (احتمالية غير حتمية).

من خلال النّظر إلى هذه التّحديدات والملامح والوظائف التي ينهض بها الحِجَاج في تصوّر بيرلمان وتيتكا يتبيّن لنا أنّ الأطر الحِجَاجِيّة عندهما تتمثّل في العلاقات الثّنائيّة القائمة بين الحِجَاج والاستدلال، ثمّ الحِجَاج والخطابة، ثمّ الحِجَاج والجدل، وذلك في إطار عمليّة إقامة الدّليل والبحث عن آليات تحصيل الإقناع بالتّحرك من أجل إنجاز الفعل المقصود أصلاً من قبل الخطيب[3].

يظهر من خلال ما قيل أعلاه، أن كتاب **"مصنّف في الحجاج"** يعرض أطروحة تضمر تصوّرًا فلسفيًّا عميقًا، حيث يترتب على ذلك أن الحِجَاج عبارة عن تصوّر معيّن لقراءة الواقع.

---

1 عبد الله صوله،الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحِجَاج الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص 299.

2 المرجع نفسه ،ص 300.

3 المرجع نفسه ،ص 108. بتصرف